البديع

الاسم هو « **البديع** » وقد ورد هذا الاسم في القرآن الكريم في قوله تعالى :

﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾

[البقرة : ١١٧]

والبديع : على وزن فعيل بمعنى مُفعِل ؛ أي مُبدع السموات والأرض ، والإبداع : أن تصنع شيئاً على غير مثالٍ سابق ، ودون أن تتلقى من أحد معلومة ما ، وإذا أردنا أن نبحث فيما يصنعه الإنسان ، فإنه من حيث يريد أو لا يريد ، من حيث يشعر أو لا يشعر ؛ إنه يقلِّد ، فإذا قال صنعت غواصة ؛ فلا شك أنها تقليد غير ناجح للسمكة . وإذا صنع طائرة ؛ فلا شك أنه تقليد غير ناجح للطائر .

وقد وقع تحت يَديّ كتابٌ موسوعيّ عن الطيور ، وفي مقدمة الكتاب يقول المؤلف : إنّ أرقى طائرة صُنِعت حتى اليوم ؛ لا ترقى إلى مستوى الطائر ، فالطائرة تقليد للطائر ، والغواصة تقليد للسمكة ، وأيُّ شيء صنعه الإنسان لو دققت فيه لرأيته قد قلّد به شيئاً مما في الطبيعة من إبداع الله تعالى ، لكنَّ الله سبحانه وتعالى خلق الكون على غير مثال سابق ؛ فمَن قال : إنَّ الأرض ينبغي أن تكون كُرة ؟ ومن

قال إنَّ الأرض ينبغي أن تدور حول نفسها ، وأن تدور حول الشمس ؟ ومن خلق الضوء ؟ من جعل الشمس منبعاً حرارياً وضوئياً ؟ من أعطى الماء صفاته وخصائصه ؟ ومن أعطى الهواء صفاته وخصائصه ؟ من أعطى كل عنصر خصائصه ؟ لو أنّ العناصر كلها تذوب في درجة واحدة ؛ أي تنصهر في درجة واحدة ، لرأيت الكون كله غازاً ، أو صلباً ، أو مائعاً ؛ فلَوْ أنَّ هذا الكون ، وما فيه من مجرات ، ومن كازارات ، ومن مذنبات ، ومن كواكب ، ومن نجوم ، بعدده ومسافاته البينيّة وحركته المتوازنة ، مثلاً : على مرأى من الخلق كلهم ، أوراقُ الأشجار ؛ هل تعتقد أنه في الإمكان أن ترسم لنا ورقةً ليس لها أصل في الكون ؟ أوراق كبيرة وصغيرة ، مسننة وملساء وخشنة ، انسيابية ومخططة ، ذات لون داكن ولون فاقع وألوان متداخلة ، لو أردت أن ترسم أنواع الأوراق التي خلقها الله عز وجل ، بل إنّ أوراق أيَّةِ شجرة واحدة هل تتشابه ؟ واللهِ يارب لو تشابهت ورقتا زيتون لما سُمّيتَ الواسع ، هذا ما قاله أحد العارفين .

ومثلاً آخر : وجوه البشر ؟! أنا أضرب أمثلة كثيرة ، هل في الأرض كلها والتي يعيش ستة آلاف مليون إنسان على وجهها ، هل في الأرض كلها وجه إنسان مشابه لوجه إنسان آخر ؟ مستحيل ، والشيء الثابت الآن أنَّ لِكُل إنسان رائحة خاصة ؛ وهذه الرائحة هي أساس معرفة الكلاب البوليسية للمُجرم ، الإنسان له رائحة واحدة تميزه من غيره ، ولا يتفق اثنان في رائحة جسميهما . الجلد له رائحة عطرية ؛ لكل إنسان رائحة خاصة به . ولِكُل إنسان إيقاع صوتي خاص به كم موجة ؟ ولِكُل إنسان قزحية خاصة به . ولِكُل إنسان بصمة خاصة به . ولِكُل إنسان تركيب دم خاص به « **البلازما** » ؛ بل

إنّ أحدث البحوث أنّ هناك ما يسمى بالزُّمر النسيجية ؛ يعني نسيج الإنسان خاص به فكما أن الدم زُمرٌ زُمر ، ولكن زمر الدم محدودة ؛ في حين أن الزُّمر النسيجية غير محدودة ، حتى الآن وصلوا إلى اثنين ونصف مليار زُمرة يعني لا يُشبِهُكَ في الكون كله إلا إنسانٌ واحدٌ وقد يكتشفون بعد حين أنّ كل إنسان له زُمرة نسيجية واحدة ، هذا الذي يدعو علماء الطب إلى تفسير ظاهرة أنّ هذا الجسم رفض هذه الكُلْية ، أن هذا الجسم رفض هذا العضو لاختلاف الزُّمر النسيجية ، أليس هذا إبداعاً ؟ .

إنّه إبداعٌ لا حدود له ، أما الإنسان لو أراد مثلاً أن يرسم وجهاً ، فلو كلَّفنا رسَّاماً أن يرسم وجهاً يرسم وجه اثنين.. ثلاثة مختلفة بعضها عن بعض ، وبعد ذلك ينضب الإبداع من ذهنه ، وتأتي رسوماته متشابهة ، ومهندسو السيارات يصممون أشكال السيارات ، مرة خطوط منحنية ، مرةً خطوط متعامدة ، مرةً خطوط انسيابية ، وبعد حين يعودون إلى الشكل السابق فإبداعهم ينضب ، أما الله سبحانه وتعالى بديع السموات والأرض فهو واسع حكيم .

أضرب بعض الأمثلة : وجهُ الإنسان ، ولون قزحية عينه ، ورائحة جلده ، وتركيب دمه ، ونبرة صوته ، وبصمة إبهامه هذه كُلُّها هويات شخصيّة . فيما قبل كنا نعتقد أن البصمة وحدها هوية الإنسان ، الآن أشياء كثيرة في الإنسان يتميّز بها من غيره فالله سبحانه وتعالى بديع السموات والأرض .

شيءٌ آخر هام جداً ، لو أنك اطّلعت على أنواع الأسماك التي في البحار ؛ لو تصفحت كتاباً مصوراً فيه أنواع الأسماك ، لأخذَك العَجَب العُجاب . فحتى الآن الإحصائيات بالنسبة للأسماك تفيد وجود مليون

نوع من السمك ، وأيُّ شكل يخطر في بالك موجود ، سمكة على شكل كرة موجودة ، على شكل سيف موجودة ، شفافة موجودة ، فسفورية موجودة لها أهداب موجودة ، لها أرجل موجودة ، سمكة على شكل مزهرية موجودة ، سمكة تدافع عن نفسها بأن تفرز مادة كالحبر تخفي وجودها موجودة ، سمكة تحارب أعداءها بالكهرباء بآلاف الفولطات موجودة ، حيتان كبيرة موجودة ، وأسماك صغيرة للزينة موجودة ، لو أردت أن تقف عند تنوّع الأسماك فشيء لا ينتهي ، لا يُعدُّ ولا يُحصى . لو أردت أن تقف عند أنواع الطيور ؛ فأشكالها ، وأصنافها ، وأنواعها ، وسلالاتها شيء يأخذ بالألباب . أنواع الألوان ، أنواع الورود ، وقد أطلعني أحد الأصدقاء على كتاب مؤلف من ثمانية عشر مجلداً كل مجلّد سماكتهُ لا تقلّ عن ثمانية سنتمتر ، وكل ورقة مخصصة لنوع من أنواع الأبصال كل هذا المجلد لأنواع الأبصال فقط بعضهم يقول : هناك ثلاثة آلاف نوع من أنواع القمح ، وقرب مدينة دوما بمحافظة دمشق هناك مركز للبحوث الزراعية أطلعني مهندس أنّ في هذا المركز ثلاثمئة نوع من العنب . وما من فاكهة ، وما من خضرة ، وما من محصول ، وما من شجر مثمر إلا وهو مئات الأنواع بل آلاف الأنواع ، هذا كله يُجسِّد اسم البديع ، والأنواع لا تُحصى .

مرةً كنت في معرض للحشرات بالقاهرة وهو بناء ضخم مؤلف من مجموعة قاعات ، في كل غرفة وعلى الأربعة الجدران ثُبتت حشرات مصبّرة ، وليس هناك حشرة مثل أختها ، ولا فراشة مثل أختها تنوع في الخلق لا يصدقه عقل ، هذا معنى قول الله عزّ وجل : ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ .

أوراق الأشجار ، أنواع الأشجار ، أنواع الأخشاب ، أنواع النباتات ، أنواع الروائح ، أنواع الأسماك ، أنواع الأطيار ، أنواع الفواكه ، ذرات الثلج ؛ لو أخذنا ذرّة الثلج وكبرناها تحت مجهر ، لرأينا شكلاً لا يُصدّق ، في منتهى الروعة ، وما من ذرة تُشبه أختها ؛ لو أخذت عيّنات من آلاف الأماكن التي هطل عليها الثلج ، كل ذرّة ثلج لها شكل خاص ، أليس هذا من فعل بديع السموات والأرض ؟

الحقيقة من معاني البديع ؛ من المعاني الأولى أنَّه بديع في ذاته ومعنى بديع في ذاته ؛ أيْ لا يُشبهه شيء ، أو ليس كمثله شيء ، بديع في ذاته ليس كمثله شيء ، وبديع في خلقه ، فهو خلَق الخلق على غير شكل ، وعلى غير مثال سابق ، ودون أن يُعلِّمُهُ أحد . وبديع في أفعاله فالإنسان أحياناً يأخذ احتياطات جمّة لكن يُفاجأ بتصرف لم يكُن في الحسبان ، فالبديع إذاً اسمٌ من أسماء الله ، اسم لِذاتِهِ واسمٌ لِصفاته واسمٌ لأفعاله .

التعاريف الدقيقة لهذا الاسم : مَن فعل فعْلاً لم يُسبق إليه قيل له : أبدع ، وسُمِّيت البِدعة بدعة لأنها لا أصل لها في الدين ، وقد نقف وقفةً متأنية عِندَ البِدعة .

البِدعة لها معنيان : معنىً لغوي ، ومعنىً شرعي ؛ فالمعنى اللغوي كل شيء جديد اسمه بِدعة ، والمعنى الشرعي ؛ من أحدث في الدين ما ليس فيه فهو مُبتدع : من ابتدع شيئاً يُيَسِّر على المصلين صلاتهم فهو شيءٌ جيّد ، فنقلُ الصوت بدعة ، لكنها تعطي خدمات جُلى لرواد المساجد .

مثلاً تدفئة المكان تدفئةً مركزيةً لم تكن من قبل هذه بِدعة ،

تكييف المكان لم يكن من قبل هذه بِدعة ، فهناك بِدعة حسنة ؛ حينما تُقدّم شيئاً مريحاً جيداً ، يَحُل بعض مشكلات المجتمع ، دون أن يُخالف نصاً شرعياً فهذه بِدعة حسنة . وأما البِدعة السيئة فهي التي خالفت أمراً محرّماً فالبِدعة اللغوية قد تكون صالحةً ، وقد تكون طالحةً ، وقد تكون حياديةً وقد تكون موقوفةً . ما معنى صالحة ؟ ما معنى طالحة ؟ مامعنى حيادية ؟ وما معنى موقوفة ؟ البِدعة الموقوفة جهازٌ قد يُستخدم استخداماً جيداً ، وقد يُستخدم استخداماً سيّئاً ؛ فمثلا لو أنَّك اقتنيت آلة تصوير وصوَّرت بها بعض المناظر الطبيعية ، كبعض أنواع الأشجار ، وكنت جغرافياً ، وصورت بعض أنواع الخُلْجان ، وأنواع الجُزر ، وألَّفت كتاباً ووضعته بين أيدي الطلاب ؛ فهذه الآلة استخدمتها في نقل مظاهر الطبيعة إلى كتب مدرسية ، فهذه الآلة استخدمتها استخداماً مشروعاً ؛ فهي بدعة لكنَّ استخدامها الجيّد جعلها مقبولة ، ولو أنك صوّرت بها مناظر لا تُرضي بها الله عزّ وجلّ وطبعتها وروّجتها ؛ فهذا شيءٌ مُحرّم .

فإذاً هذه الآلة صالحة أو طالحة ، وهذا موقوف على نوع استعمالها . وهناك بِدعة حيادية ؛ لو اخترعت صنفاً من الطعام ؛ لو أضفت بعض التوابل إلى بعض المطعومات ، وجعلت منه طبقاً لم يُصنع من قبل هذا لا حرام ، ولا حلال ؛ مُباح ، بِدعة مُباحة . والبِدعة المُحرّمة إذا اصطدمت مع نصٍ شرعيّ ، وهذا كُلُّهُ متعلّق في البِدعة اللغوية ؛ يعني شيءٌ جديد لم يكن من قبل ، أقرب مثل أضربه دائماً ؛ أن يجلس العريس يوم عرسه على كرسي إلى جانب زوجته أمام المدعوات ، الكاسيات العاريات ، المائلات ، المُميلات وهو مُسلم ؛ مُسلم يجلس أمام جمعٍ غفير من النساء الكاسيات العاريات

المائلات المُميلات بحكم التقليد والعادة والضرورة ، هذه بِدعة مُحرّمة ، لأنها اصطدمت مع تحريم إطلاق البصر ، ومع تحريم إبداء الزينة ، أما إذا وفَّر إنسانٌ لِرواد المسجد مايريحهم ؛ ولم يكن على عهد النبي ﷺ كماءٍ ساخن في الشتاء ، وماءٍ بارد في الصيف ، فلم يكن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم جامع مكيّف ، ولا جامع مدفّأ تدفئةً مركزيةً ، ولم يكن هذا الأثاث المريح ، فهذه بِدعة ؛ لكنها صالحة تقدم خدمات لرواد المساجد .

افترض لو أنه اخترع جهازاً يحلُّ بعض المشكلات في بيتك لا علاقة له بالحرام والحلال هذه بِدعة ، لكنها بِدعة حسنة ، أمّا أن يقف الزوج أمام المدعوات فهذه بِدعة سيئة ، إذاً هناك بِدعة موقوفة على نوع استعمالها ، وهناك بدعة مباحة ، وهناك بِدعة حياديّة لا علاقة لها بالحلال والحرام .

والخلاصة أنّ عندنا بِدعة موقوفة ، وعندنا بِدعة محرمة ، وبِدعة حسنة هذه البِدعة اللغوية ؛ ولكن دققوا في (لكن)! (لكن) إنّ البِدعة في الدين حرام مئةً في المئة لماذا ؟ لأنّ الله عزّ وجلّ حينما قال :

﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [المائدة : ٣] .

الدين تام وكامل ؛ والتمام من حيث العدد ، والكمال من حيث النوع . يعني عدد القضايا التي عالجها الدين تام ، ولا يقبل الدين موضوعاً جديداً ، وطريقة المعالجة التي عالجها الدين طريقة كاملة ، ولا يقبل الدين تعديلاً طفيفاً لطريقة المعالجة من قوله : ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ

لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ .

فإذا ابتدعنا في الدين شيئاً ؛ إنْ في العقيدة ، أو في العبادة ، أو في المُعاملة ، أو في الأخلاق ، أو في السلوك ؛ فهذا بِدعة محرّمة :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ قَالَ : كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَقُولُ فِي خُطْبَتِهِ يَحْمَدُ اللهَ وَيُثْنِي عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ يَقُولُ : « **مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْهُ فَلا هَادِيَ لَهُ ، إِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللهِ ، وَأَحْسَنَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ، وَشَرُّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا ، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ وَكُلُّ ضَلالَةٍ فِي النَّارِ ، ثُمَّ يَقُولُ : بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ ، وَكَانَ إِذَا ذَكَرَ السَّاعَةَ احْمَرَّتْ وَجْنَتَاهُ ، وَعَلا صَوْتُهُ ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ كَأَنَّهُ نَذِيرُ جَيْشٍ يَقُولُ : صَبَّحَكُمْ مَسَّاكُمْ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلأَهْلِهِ ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْناً أَوْ ضَيَاعًا فَإِلَيَّ أَوْ عَلَيَّ ، وَأَنَا أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ** » . [رواه الترمذي وأحمد] .

كُلُّ مُحدثةٍ بِدعة ، وكُلُّ بِدعةٍ ضلالة ، وكُلُّ ضلالةٍ في النار ، إذاً لدينا شيءٌ مهم جداً وهو أن الأديان قد تزوّر ، المبادىء قد تزوّر ، المذاهب قد تزوّر ، ما الذي يضمن لي أنني أمام دين جاءني كما نزل ؟ فما الذي يضمن لي أن أتعامل مع دين هو الآن كما جاء في أوّل عهده ؟ أشياء ثلاثة : ألا يُضاف إليه شيءٌ ؛ وألا يُحذف منه شيءٌ ؛ وألا يُؤوّل تأويلاً ما أراده المشرِّع ، إذا ألغيت التأويل الفاسد ، وألغيت إضافة البِدع ، وألغيت حذف الأصول ، فقد ضمنت أن يستمرّ الدين كما بدأ .

نحن كما تعلمون أيها القراء الكرام : إذا تحدثنا عن حظِّ

العبد اسم الرحمن الرحيم ، فالعبد له حظ أن يكون رحيماً .

فحينما ندعو المؤمن أن يكون حليماً ، ورحيماً ، وعادلاً وعالماً ؛ هذه دعوة إلى التخلُّق بالكمال الإلهي ، ولكن في هذا الاسم بالذات الدعوة المعاكِسَة ، الدعوة ألا تكون مبتدعاً إن في عقيدتك ، وإن في عبادتك ، وإن في دعوتك ، وإن في سلوكك ، وحينما تبتدع شيئاً لابُد أن يكون هذا على حساب السنة تترك شيئاً ، وتأخذ شيئاً مكانه ؛ لأنّ المُسلم تَسَعَهُ السُّنّة ولا تستهويه البِدعة ، البِدعة كما قال العلماء : « **ما ليس لها أصل في كتاب الله ، ولا في سنة رسوله ﷺ ولا في إجماع الأمّة** » وهي « **طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشرعية يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله سبحانه** » [الاعتصام ١/ ٢٤] ، فمثلاً دعوة إلى الله أساسها أن تأتي بسيخ وأن تطعن به جسمك ليخرج من الطرف الآخر ؛ فإذا فعلت هذا صدّق الناس دعوتك ؟ فهل فعل هذا النّبي ﷺ ؟ هل ورد هذا في القرآن الكريم ؟ هل ورد هذا في سنة النّبي ﷺ ؟ هل ورد هذا في سيَر الصحابة ؟ هل ورد هذا في إجماع الأئِمة ؟ لا ، إذاً هي بِدعة ، وهذه الطريقة في الدعوة إلى الله بِدعة يجب أن تُجتنب ، فالبِدعة ما ليس لها أصل في كتاب الله ، ولا في سُنّةِ رسوله ﷺ ، ولا في إجماع المؤمنين يقول الله عزّ وجل : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣] .

إذا خالفت أمره ، وقعت في فتنة الابتداع ، وسيدنا الصديق رضي الله عنه يقول : « **إنما أنا متبع ولست بمبتدع** » ، ومما يعزى لأبي إلياس الألباني أنه قال : « **ثلاث لو كتبن في ظفر لوسعهن** : اتبع

لا تبتدع ، اتضع لا ترتفع ، ومن ورع لا يتسع »[١] . البذخ والترف وإنفاق المال من دون جدوى ؛ هذا من صفة الكُفار ، لكنّ المؤمنين يقتصدون في كسب مالهم ، وفي إنفاق مالهم ، ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ ، ويقول الله عز وجل :

﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا۟ ﴾ [النور : ٥٤] .

والله عز وجل يقول في آية ثالثة :

﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب : ٢١] .

الأسوة الحسنة : أيْ : اتباع السُّنّة ؛ **اقتدِ به في كل أطوار حياتك** أي : **طبّق سنته« مَنْ أَمَرَ السُنةَ على نفسه قولاً وفعلاً ، ونَطَقَ بالحِكمة ، فقد اتّبَعَ السُّنّة ، وجعل النّبي عليه الصلاة والسلام أسوةً له ، ومن أمّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبِدعة »**[٢] . لذلك أصحاب البِدع يُقال لهم : أصحاب الأهواء ، إما أن تُحكِّم سُنّة النبي ﷺ في حياتك ، وإما أن تُحكِّم الهوى ؛ إذا حكَّمت الهوى ، أصبحت مُبتدعاً ، وخرجت عن طريقة الرسول عليه الصلاة والسلام . وإذا حكَّمت السنة في أفعالِك وأقوالِك وسيرتك . فقد كنت مقتدياً بِهدي النّبي ﷺ .

روي أن أَنَس بن مَالِكٍ قال : قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **يَا بُنَيَّ إِنْ قَدَرْتَ أَنْ تُصْبِحَ وَتُمْسِيَ لَيْسَ فِي قَلْبِكَ غِشٌّ لأَحَدٍ فَافْعَلْ ، ثُمَّ قَالَ لِي : يَا بُنَيَّ وَذَلِكَ مِنْ سُنَّتِي وَمَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ** » [رواه الترمذي] .

---

(١) الاعتصام ١/ ٦٩ .

(٢) من كلام أبي عثمان الحبري ، انظر [الاعتصام ١/ ٧٥] .

« **فمن أحبَّ سنتي فقد أحبني ، ومن أحبني كان معي في الجنّة** » .

قال سهل التستري : أصولنا سبعة أشياء : التمسك بكتاب الله والاقتداء بسنة رسول الله ﷺ وأكل الحلال وكف الأذى واجتناب الآثام والتوبة وأداء الحقوق ، [الاعتصام ١/ ٧٤] . وحينما قال الله عزّ وجلّ :

﴿ وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ﴾ [آل عمران : ٤٨] .

الحكمة : هي السُّنّة ، يُعلِّمُه الكِتاب والحِكمة ، فالكتاب الأمر الإلهي ، أما السُّنّة فهي كيف طبّق النبي عليه الصلاة والسلام هذا الأمر الإلهي .

وقال بعضهم في قوله تعالى :

﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ﴾ [فاطر : ١٠] .

ما هو العمل الصالح ؟ قال بعضهم : الاقتداء برسول الله ﷺ ؛ العمل الصالح هو أن تقتديَ برسول الله ﷺ . وروي عن رسول الله ﷺ قال : « **عمل قليل في سُنّةٍ خير من اجتهاد كثير في بِدعةٍ** » [مسند الفردوس للديلمي] عن ابن مسعود .

الله سبحانه وتعالى بديع السموات والأرض ، هو الذي خلق السموات والأرض على غير صورة سابقة ودون أن يعلِّمه أحد ، ابتدع ذوات الأشياء ، وابتدع صفات الأشياء وابتدع خصائص الأشياء ، وابتدع أحجامها ، وأشكالها ، وألوانها وحركتها ، وسكونها ، وابتدع الإنسان ، وما حوله من حيوان ، وما حوله من نبات ، وأشكال لا تُعدّ

لا مُشابه له ، والذي ليس كمثله شيء ، ليس له مثل لا في ذاته ، ولا في صفاته ، ولا في أفعاله ، ولا في خلقه .

ومن ثم فما حظّ العبد من هذا الاسم ؛ ألاّ يكون مُبتدعاً ، لكن هناك نقطة دقيقة جداً أتمنى أن نقف عندها قليلاً ، الإنسان مُكرّم عند الله عزَّ وجلّ ، ومن علامات تكريمه عند الله عزَّ وجلّ ؛ أنّه خلقه فرداً لا مُشابه له ، وأنّه سَمَحَ له أن يكونَ مُشرِّعاً عن طريق الآيات ذات الطابع الاحتمالي

عن طريق ماذا ؟ عن طريق الآيات الظنيّة الدلالة ؛ فالعلماء يجتهدون في فهم هذه الآية ذات الدلالة الظنيّة ، إذاً كأن الإنسان سُمح له أن يُشرّع ، أن يجتهد . أن يكون الإنسان مُجتهداً هذا من تكريم الله عزَّ وجلّ . وهو فردٌ لا مثيل له هذا من تكريم الله عزَّ وجلّ ، وأن يُعطى الإنسان حُريّة الإرادة وهذا تكريمٌ من الله عزَّ وجلّ ، ومن أنواع تكريم الله عزَّ وجلّ أنَّ طبيعة خلق الله عزَّ وجلّ - الآن دخلنا فيما له علاقة وشيجة بالبحث - طبيعة خلق الله عزّ وجلّ تُمكّن الإنسان من أن يُبدع في الخلق ، فالآن يُقال لك هذا النبات هجين ؛ مامعنى هجين ؟ يعني هناك مخابر مستواها رفيع جداً يأخذون نباتاً ذا خصائص معينة ويُزاوِجُونَه بنبات آخر له خصائص معينّة يُنتج نباتاً ثالثاً بخصائص تجمع خصائص النباتين ، ثمّ يزاوجونه بنبات آخر إلى أن يصلوا إلى أصناف نادرة جداً .

طريقة الخلق ، تسمح للإنسان أن يبتدع ، لقد سمعت أن هناك بقراً شامياً أصيلاً ، البقرة الشامية معروفة ، وهناك بقر هولندي ، من

أشجار مقزّمة ، شجر أرزّ كبير مقزّم في أصيص صغير ، الآن هُناك أشجار مثمرة مقزّمة ، الآن دخلت والقارىء الكريم في موضوع ؛ يتصل بموضوعنا من باب واحد ، أنَّ من تكريم الله لهذا الإنسان أنْ مكَّنهُ مِن أنْ يُبدع ، وهذا في الخلق ، أمّا أن يبتدع في الدين ؛ فهذا محرّم . والدين توقيفي ، فالدين هو ما جاء به النّبي ﷺ ومن بعد وفاة النبي ﷺ انقطع الوحي .

فنحن مسموح لنا أن نُبدع في الخلق ، وليس مسموحاً لنا أن نُبدع في الدين ؛ لأنَّ البِدعة في الدين هي ضلالة قولاً واحداً ؛ كل مُحدثةٍ بِدعة ، وكل بِدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار . يقول عليه الصّلاة والسّلام :

« مَنْ خَالَفَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْلامِ مِنْ عُنُقِهِ » .

[رواه أحمد]

هل يوجد ابتداع هنا ؟ من خالف الجماعة شبراً ، هناك آية أخرى هي أصلٌ في إجماع المسلمين ، أتعرفونها ؟ هي قوله تعالى :

﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾ [النساء : ١١٥] .

فمن خالف الجماعة شبراً ، فقد خَلعَ رِبقة الإسلام من عنقه . وقال ابن عبّاس : « **ما أتى على الناس عام إلا أحدثوا فيه بدعةً ، وأماتوا فيه سنّةً** » .

كلما جاءنا عام أُحدثت بِدعة وأُميتت سنّة ، إلى أن تصل إلى وقت ـ والعياذ بالله ـ كُلُّهُ بِدع وحقيقة الدين خافية على معظم النّاس . أحياناً تجد من يرقص بثياب فضفاضة والطرابيش على الرؤوس ، فهل

هذا من الدّين ؟! يموت شخص فيؤتى بفرقة الميلاوية! وعملها ، هذا رقص ، أحياناً نجد في مجالس الذّكر أشياء ما أنزل الله بها من سلطان ابتداع في ابتداع ، أهكذا فعل النّبي عليه الصّلاة والسّلام ؟ أحياناً يصبح الدّين عند بعضهم أنغاماً ، وعند بعضهم رقصاً ، وعند بعضهم سلوكاً غريباً ، وعند بعضهم تمتمات ، وعند بعضهم خزعبلات ، أهذا هو الدّين ؟!

البطولة أن تتعرّف إلى الدّين من ينابيعه الأصيلة وهي القرآن والسنّة ؛ فأي شيء جاءنا عن غير هذا الطريق فهو بِدعة ، ولاشك أَنّ هذا العِلم دين ، فانظروا عمّن تأخذون دينكم ، ولينظر أحدكم أنه راجع إلى الله شاء أم أبى ، فليحذر .

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴾ [الصافات : ٢٤] .

والسؤال عسير ، والموقف رهيب .

روي في بعض الأحاديث : « **من مشى إلى صاحب بِدعة ليُوقِّره فقد أعان على هدم الإسلام** » [الطبراني عن عبد الله بن بسر وسنده ضعيف] .

عَنْ أَيُّوبَ قَالَ : قَالَ أَبُو قِلابَةَ : « لا تُجَالِسُوا أَهْلَ الأَهْوَاءِ وَلا تُجَادِلُوهُمْ ، فَإِنِّي لا آمَنُ أَنْ يَغْمِسُوكُمْ فِي ضَلالَتِهِمْ أَوْ يَلْبِسُوا عَلَيْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْرِفُونَ »[1] .

لا تجالس أهل الأهواء المبتدعين الذّين أحدثوا في الدّين ماليس فيه ؛ لأنّ سيّدنا الصدّيق رضي الله عنه كما قال عمر رضي الله عنه :

« **لَوْ وُزِنَ إِيمَانُ أَبِي بَكْرٍ بِإِيمَانِ أَهْلِ الأَرْضِ لَرَجَحَ بِهِمْ** » .

[رواه البيهقي في الشُّعب موقوفاً]

---

(١) الاعتصام ١/ ٦٥ .

وقال ﷺ : **إن أمن الناس عليَّ في ماله وصحبته أبو بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ، ولكن أخوة الإسلام ، لا تبقين في المسجد خوخة إلا خوخة أبي بكر** [رواه مسلم] .

ومع ذلك ماذا قال سيّدنا الصدّيق ؟ قال : في خطبته الأولى : « **لقد وُلّيت عليكم ولست بخيركم إنّما أنا متّبع ولست بمبتدع فإنْ أحسنت فأعينوني وإن أَسَأْت فقوّموني** » .

وكان أبو بكر يقول : لست تاركاً شيئاً كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به إني أخشى إن تركت شيئاً من أمره أن أزيغ .

إذاً ينبغي أن نتّبع النّبي عليه الصّلاة والسّلام ، ولْنُراقب سلوكنا ، فأيُّ بَدعة تأتينا يجب أن نسأل عن أصلها ؛ فإن لم يكن لها أصل فهي بِدعة مردودة لا نقبلها ، وقد قال بعض العلماء : « **من داهن مبتدعاً سلبه الله تعالى حلاوة السُّنَن** » ؛ أي شخص مُبتدع بعقيدته ، مُبتدع بسلوكه ، مُبتدع بعبادته ، حذف أشياء ، وأضاف أشياء ، وبالغ بأشياء ، وأخفى أشياء ، وصار مبتدعاً ، قال : « **من داهن مبتدعاً سَلبه الله تعالى حلاوة الإيمان** » ، بل إنّه من ضَحِكَ إلى مُبتدع ، نَزَعَ الله تعالى منه نور الإيمان مِن قلبه ، من ضَحِكَ له ، من جالسه ، من داهنه ، من صاحبه ، وقال : « من استهان بأدب من آداب الإسلام ، عوقب بحرمان السنّة » عن يحيى بن أبي كثير « إذا لقيت صاحب بدعة في طريق فخذ في طريق آخر » .

إذاً نحن في كل أسماء الله الحسنى ؛ حظُّنا منها أن نتخلّق بالكمال الإلهي ، إلا في هذا الاسم حظُّنا منه ألا نبتدع في دينه شيئاً ، سمح لنا أن نبتدع في الزّراعة ، في النبات ، في الحيوان ، في خلط الألوان

أحياناً في صهر المعادن ، فمثلاً نحن بحاجة إلى معدن خفيف جداً متين جداً ممكن أن نصنع هذا المعدن من خلط بعض المعادن ، معدن خليط ، فهذه كلها ابتداع .

الإبداع : اختراع ، يعني أنَّ الله عزَّ وجلّ أعطى الأشياء خصائص ، وسَمَحَ بالتّزاوج ، وسَمَحَ بالتفاعل والاندماج ، إذاً الإبداع في الصناعة والزراعة من فضل الله علينا ؛ مثلاً تقولون : هذا البطيخ الأناناس ، هذا بطيخ مُطعّم على نوع لم يكن من قبل ، لقد صار هناك تهجين ، عملية التهجين في النبات ، والحيوان ماهي في الحقيقة إلا نوع من الابتداع ، لكن الله عزَّ وجلّ لِوجود خصائص لكل نبات ولتصميم النبات بحيث يتزاوج سَمَحَ بالابتداع ، أمّا في التّشريع ، وفي الدين الابتداع كلّه حرام ، قال العلماء : « **من استهان بالفرائض قيّض الله له مبتدعاً يذكر عنده باطلاً فيُوقع في قلبه شبهةً** » .

وختام المطاف :

﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران : ٣١] .

فأنت قد تكون محقاً في تعاملك مع الأشخاص ، قد تقول عن شخص بأبسط عبارة : لعله غلطان ، لعله مُخطىء ، وأنا لا أتورّط معه ؛ فهذا شيء جميل ، لكنّك إذا ثَبَتَ لك نص عن الله عزَّ وجلّ ، فالله عزّ وجل كتابه حقّ لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، إذا ثَبتت لك عن النّبي ﷺ سُنّة صحيحة ؛ النّبي معصوم ، وأنت لك جهتان يُمكن أن تطمئنّ إليهما ؛ كتاب الله ، وسُنّة رسوله ﷺ . وما سِوى ذلك موقوف على موافقته لكتاب الله وسُنّة رسوله ﷺ .

كنت ولا زلت أضرب أمثلة دقيقة من أنّك أمام ثلاثة نصوص في حياتك ؛ لو امتدت بك الحياة قروناً طويلة فلن تتبدل ولن تتغير : أمام ثلاثة نصوص فقط ، نص لله عزَّ وجلّ كتابه ، ونص لرسوله ﷺ ، ونص لغير رسول الله ﷺ ؛ أي إنسان كان ، إذاً هناك نص لله خالق الكون وهو القرآن ، ونص لرسوله النّبي عليه الصّلاة والسّلام ، ونصّ لأي مخلوق بعد النّبي ﷺ ، عالم كبير ، مثقّف ، غير مثقّف ، شيخ ، عَلَم من أعلام الأُمّة ، أيُّ إنسان ليس النّبي ؛ فهو صنف ثالث . أنت مع القرآن ليس لك إلا أن تفهمه لأنّه قطعيُّ الثبوت ، ومع السُّنّة ليس لك إلا أن تتحقق من صحّتها ، لأنّ الحديث منه ما هو ظنّي الثبوت ، وليس لك إلاّ أن تفهمه ، ولكنّك فيما سِوى هذين النّصين ، ولِيكُن مَن يكن القائل ، فعليك أن تتحقق من صِحّته وأن تحاول فهمه كما أراد صاحبه ، وأن تُقيّمه بالكتاب والسُّنّة ، هذا هو الدّين هذا هو المقياس .

إذاً فهذا البحث قادنا إلى موضوع البِدع فنحن يجب أن نتوقّع أيّة بِدعة دخلت على الدّين في غفلة الزمان ونحذر كل الحذر ، أنت بحاجة إلى مقياس ، وبحاجة إلى مراجعة لكل معلوماتك ، ولكل خِبراتك ، وقياسه بالكتاب والسُّنّة .

أرجو الله سبحانه وتعالى أن أكون وفَّيْت بعض الشيء من مناقشة موضوع هذا الاسم وبيانه حقيقته .

وكخلاصة مُوجِزَةٍ للبحث أعود فأقول : لقد تحدثت في الصفحات السابقة عن اسم « **البديع** » فالله سبحانه وتعالى أبدع السموات والأرض جُملةً وتفصيلاً ، خصائص ماديّة خصائص معنويّة ، على غير

مثال سابق ، ودون تعليم من أحد ابتدع الكون كله ، وهو بديع ، أيْ : فرد في ذاته ، وفرد في صفاته ، وفرد في أفعاله ، وفرد في تشريعه ، والإنسان له أن يبتدع في الخلق ، في التصنيع ، وفي مجال الزراعة كذلك فيما سمح الله به أن يفعله ، ولكنه بالتأكيد ليس له أن يبتدع في التشريع ؛ لأنَّ كل مُحدثةٍ بِدعة ، وكُلَّ بِدعة ضلالة ، وكُلَّ ضلالة في النار ، وفرّقنا بينَ البِدعة بمعناها اللغوي ، والبدعة بمعناها الديني والتي يؤكدها قول النبي عليه الصلاة والسلام :

عَنِ الْمُنْذِرِ بْنِ جَرِيرٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ : « **مَنْ سَنَّ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا كَانَ لَهُ أَجْرُهَا وَمِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا لا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا ، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ لا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا** » . [رواه مسلم] .

وأمّا البِدعة في الدين فسواء أن تُحدث في العقيدة ، أو في العبادة ، أو في المعاملات ، أو في سُنن النبي المصطفى عليه الصلاة والسلام ما ليس فيها ؛ فهي محرمة قولاً واحداً .

* * *